

أضواء البيان

@ 548 مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ { ، فالاقشعرار المذكور ،
ولين الجلود والقلوب عند سماع هذا القرآن العظيم المعبر عنه بأحسن الحديث ، يفسر
معنى الخشوع لذكر الله ، وما نزل من الحق هنا كما ذكر ، وقوله تعالى : { وَلَا يَكُونُوا
كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمْ الْأَمَدُ فَقَسَتْ
قُلُوبُهُمْ } قد قدمنا في سورة البقرة في الكلام على قوله : { ثُمَّ قَسَتْ
قُلُوبُكُمْ } بعض أسباب قسوة قلوبهم ، فذكرنا منها طول الأمد المذكور هنا في آية
الحديد هذه ، وغير ذلك في بعض الآيات الأخر . .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كثرة الفاسقين ، من أهل الكتاب جاء موضحاً في آيات
آخر كقوله تعالى : { وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
مِنْهُمْ أَلَمْ يَأْمَنُوا وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ } وقوله تعالى : { فَأَتَيْنَا
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } إلى غير
ذلك من الآيات . قوله تعالى : { كَمْ تَلَّ غَيْثٌ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ
يَهَيِّجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا } . قد قدمنا الكلام عليه في سورة
الزمر في الكلام على قوله تعالى : { ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُ حُطَامًا } ، وبيننا هناك الآية الدالة على سبب اصفراره . قوله تعالى : { مَا

أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ
قَبْلُ أَنْ نَبْدَأَ أَهْلَ الْبَرِّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } . ذكر جل وعلا في هذه
الآية الكريمة ، أن كل ما أصاب من المصائب في الأرض كالقحط والجذب والجوائح في الزراعة
والثمار وفي الأنفس ، من الأمراض والموت كله مكتوب في كتاب قبل خلق الناس ، وقبل وجود
المصائب ، فقوله : { مِنْ قَبْلُ أَنْ نَبْدَأَ أَهْلَ الْبَرِّ } ، الضمير فيه عائد على الخليقة
المفهومة في ضمن قوله : { وَفِي أَنْفُسِكُمْ } أو إلى المصيبة ، واختار بعضهم رجوعه
لذلك كله . .

وقوله تعالى : { إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } أي سهل هين لإحاطة علمه وكمال
قدرته . .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنه لا يصيب الناس شيء من المصائب إلا وهو